أسس أول لجنة استمعت الى ٢٢ ألف ضحية للعنصرية في جنوب أفريقيا

ألكس بورين: على اللبنانيين قراءة صفحات الحرب قبل طيّها

في الذكرى الـ ٣٣ لاندلاع الحرب عام ١٩٧٥ تبقى محاولات تضميد جراح الضحايا والإصغاء الى روايات المقاتلين شبه معدومة، إذ يفضل اللبنانيون الاحتفاء بمأساتهم وتذكرها بصمت بعيداً من «نبش» الذكريات الحزينة.

لم يكن لبنان الدولة الوحيدة التي تقطعت أوصالها في العالم بفعل النزاعات الداخلية، لكنه ربما من الدول القليلة التي لم تقم بعد بمراجعة حقيقية للحرب مستخلصة العبر في شكل جدي، لذا تعيش غالبية اللبنانيين في هاجس العودة الى زمن الاقتتال.

القومية البيضاء قطعت أوصال دولة جنوب أفريقيا في شكل كلّي، فحصل فرز عرقي قاس بين السود والبيض بأمر من «الحزب الوطني» دام بين عامي ١٩٤٨ و١٩٩٤ وجاء نتيجة للاستعمار البريطاني الألماني الذي شرّع هذا الفصل العنصري مقسما الأحياء والشوارع والمؤسسات والشواطئ بين البيض والسود، على أن يستحوذ الطرف الأول على أفضل المزايا والأماكن ويكتفي الطرف الثاني بالأسوأ والأردأ في المجالات كلها.

هذا التصنيف العرقي بين بيض وسود وآسيويين أدى الى صدامات داخلية أجبتها الشرطة المسلحة والتعذيب وحظر الحركات المعارضة السوداء والآسيوية. مع نهاية عهد الفصل العنصري ووصول نلسون مانديلا الى الحكم طلب الأخير من القس البيتودي ألكس بورين تشكيل هيئة مصالحة بين الناس لغسل قذارات الحرب من القلوب والعقول، فتشاور الأخير مع مؤسسات ومنظمات إنسانية عالمية وداخلية وطلع بفكرة كانت الأولى من نوعها عالمياً عبر تأسيسه «لجنة الحقيقة والمصالحة» في جنوب أفريقيا التي أنيطت بها صلاحيات العفو عن مجرمين وحق التعويض عن الضحايا، «لم يبد لي التفاوض السياسي كافيا بين الحكومة والمعارضة لتخطي فظائع الفرز العنصري، فرأيت أن التعامل مع الماضي هو الأساس لبناء مجتمع جديد يتعاون قبه الجميع».

ألكس بورين وصل الى بيروت أمس بدعوة من جمعية «أمم» للأبحاث والتوثيق التي تنظم سبع ورشات عمل متخصصة عن « لبنان وذاكرته حمالة الحروب»، وهو سيقدم اليوم في قصر «الأونيسكو» محاضرة تروي تجربته في «لجنة الحقيقة والمصالحة»، متطرقاً الى الحرب والسلام بين الشعوب. يشغل بورين اليوم عضوية مجلس إدارة المركز الدولي للعدالة الانتقالية ويجول في أكثر من ٢٦ دولة، بينها لبنان، لتقديم أفكار عن كيفية تخطي أهوال الحرب وعدم العودة إليها مجدداً.

في مقر إقامته في فندق «كراون بلازا» كان بورين يتناول ظهراً حساء ساخناً ويسأل معاونته اللبنانية بعض تفاصيل عن الأزمة في لبنان، وأثناء سردها للانقسام الحاصل في البلد طرح اسئلة عدة من بينها: «هل ما يزال «حزب الله» فاعلاً في لبنان»؟.

اكتمال «جسد» الحقيقة

حوار بورين يقدّم بضع أفكار جديدة قد تصبّ في عملية المصالحة بين اللبنانيين، هو الداعي الى إيقاظ الذاكرة والتكلم في المآسي وسرد التفاصيل للخروج من الحالة وعدم التقوقع في داخلها.

«أعتقد أنه من المهم الحديث في تفاصيل الحرب لأن الضحية الأولى لها هي الحقيقة، وبالتالي فإن تشكيل جسد الحقيقة يصوغ ذاكرة جماعية للشعب تدفع الناس للقول: نعم هذا ما كنا عليه من أحوال في الحرب. لجان المصالحة في بلدان عدة ساعدت في إيجاد معنى للتاريخ لا يرتكز على الأكاذيب والدجل المتبادل والخيالات بل على الوقائع. أبعد من ذلك فإن لجان الحقيقة والمصالحة تساعد الضحايا لأن معظمهم لم يتكلموا بما حدث معهم أو مع أقارب لهم، كما أنها توفّر لهم أماكن آمنة للتحدث ورواية قصصهم بوجود وسائل الإعلام كافة من مرئية ومسموعة ومكتوبة، كما تتيح للمرتكبين أيضا الاعتراف الصريح بارتكاباتهم وعلى مسمع من الجميع، مما يغسل الذاكرة الجماعية للمواطنين كافة».

استقبلت اللجنة في غضون عامين ونصف العام من عملها العلني (بدءاً من عام ١٩٩٥) زهاء ٢٢ ألف حالة ولم تحصل أية عملية انتقامية من الضحايا في اتجاه المرتكبين الذين انضوى كثر منهم في مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية.

كيف انعكس عمل اللجنة على الأرض في جنوب أفريقيا؟

«ساعدت لجان المصالحة الناس على التعامل مع الماضي بوضوح وأتاحت لهم التطلّع الى المستقبل بسلام، بالطبع لا تزال هنالك صراعات وتنافسات بين البيض والسود وسواهم، لكن الوضع صار مختلفاً، حتى المؤسسات تغير تعاطيها والجامعات أيضاً، وهذه المؤسسات حضرت بدورها جلسات المصارحة العلنية ومنها المؤسسة العسكرية التي أرسلت ممثلين عنها، وكذلك فعل السياسيون ووسائل الإعلام والمؤسسات الدينية. اكتشف كل طرف من هؤلاء مسؤولياته مما ساعده على تحديد التغيير الذي يترتب عليه في بناء دولة جنوب أفريقيا الجديدة، حتى أن بعض هذه المؤسسات أنشأ لجاناً حقيقة ومصالحة داخلية لتخطي الصراعات الناشئة بين أفرادها».

جراح الحرب مفتوحة

إفشاء ذاكرة الحرب يؤدي الى نكء جراح الماضي الحزين، هكذا يشعر اللبنانيون، أليست الفكرة مؤذية في جانب من جوانبها؟

يجيب بورين: «لبنان مسألته من الأصعب والأعقد في العالم، لكن أي شعب يتعايش بفئاته وطوائفه المختلفة يقف أمام خيارين: إما مغادرة البلد نهائياً، وإما إيجاد سبيل للحكم الوطني الجامع، وبالتالي يجب تجنيد المجتمع الإقليمي والعالمي للمساعدة في تمتين الحركة الداخلية في هذا الاتجاه، ليس الأمر بهذه السهولة لكن لا خيار إلا البدء بالتعاون الوطني ثم وضع خطة عمل لتحقيق هذا الحلم الذي قد يبدو بعيد المنال للوهلة الأولى».

يضيف: «لا يتعلق الأمر بنكء الجراح لأن هذه الجراح مفتوحة أصلاً ولم تبرأ، والناس لا يزالوان مجروحين في العمق، يشبه الأمر زيارة الطبيب الذي يشخص بأن الشفاء يحتاج الى عملية جراحية حقيقية، وهذا ما يجب أن يحدث في لبنان، أن تفتح الجراح ليكتشف الشعب احتياجاته ولا يستمر صامتاً وهذا ما حصل في بلدان أخرى لأن الناس لا تنسى بسهولة إلا بعد مواجهة الحقيقة بمرارتها كلّها».

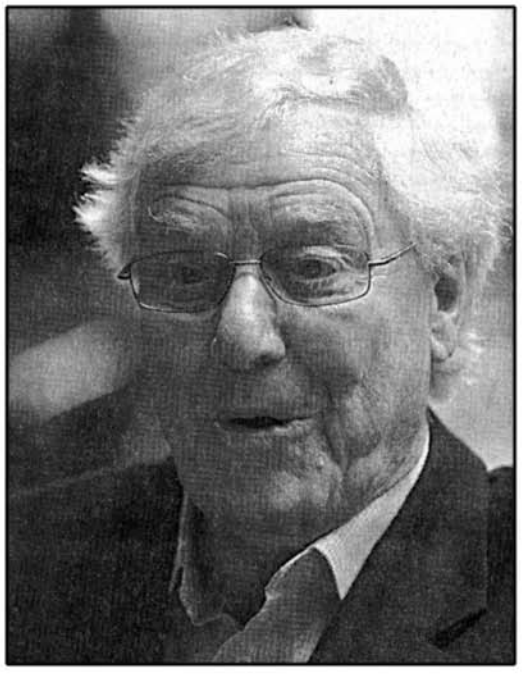

اليكس بورين يتحدث لـ«السفير» (علي لمع)

يقول بورين إن تحديد المرتكبين والإفصاح عن هويتهم أمر ضروري، على أن يعقب ذلك «عفو مشروط»، بمعنى أن يقدّم المرتكب اعتذاراً لقاء العفو. «المرتكبون اعترفوا بجرائمهم في جنوب أفريقيا لقاء العفو الذي لا يجب أن يتم بشكل مجاني، لأنه لا يعني النسيان والتناسي كما يظن البعض. من المهم لأي بلد أن يطوي الصفحة ويبدأ بالكتابة على الصفحة التالية، لكن عليه أولاً قراءة الصفحة قبل أن يطويها. هكذا يتعلّم مما حصل ولا يبقى شعبه أسيراً لحوادث الماضي. عندما نقبل ماضينا كذاكرة جماعية يمكننا حينئذ بناء مستقبل جديد».

اعتذار فريق عن ارتكاباته يسهل عملية المصالحة فتسلك الشعوب طرق المسامحة.

حصلت تجربة الاعتذار في بلدان عدّة في ألمانيا وأوستراليا وتشيلي، حتى قداسة البابا الراحل يوحنا بولس الثاني اعتذر عن الحروب الصليبية وحروب عدة قادتها الكنيسة في بعض البلدان، «إنه تراث جديد يساعد الشعوب على البدء بمسار جديد ملؤه السلام والطمأنينة».

مارلين خليفة